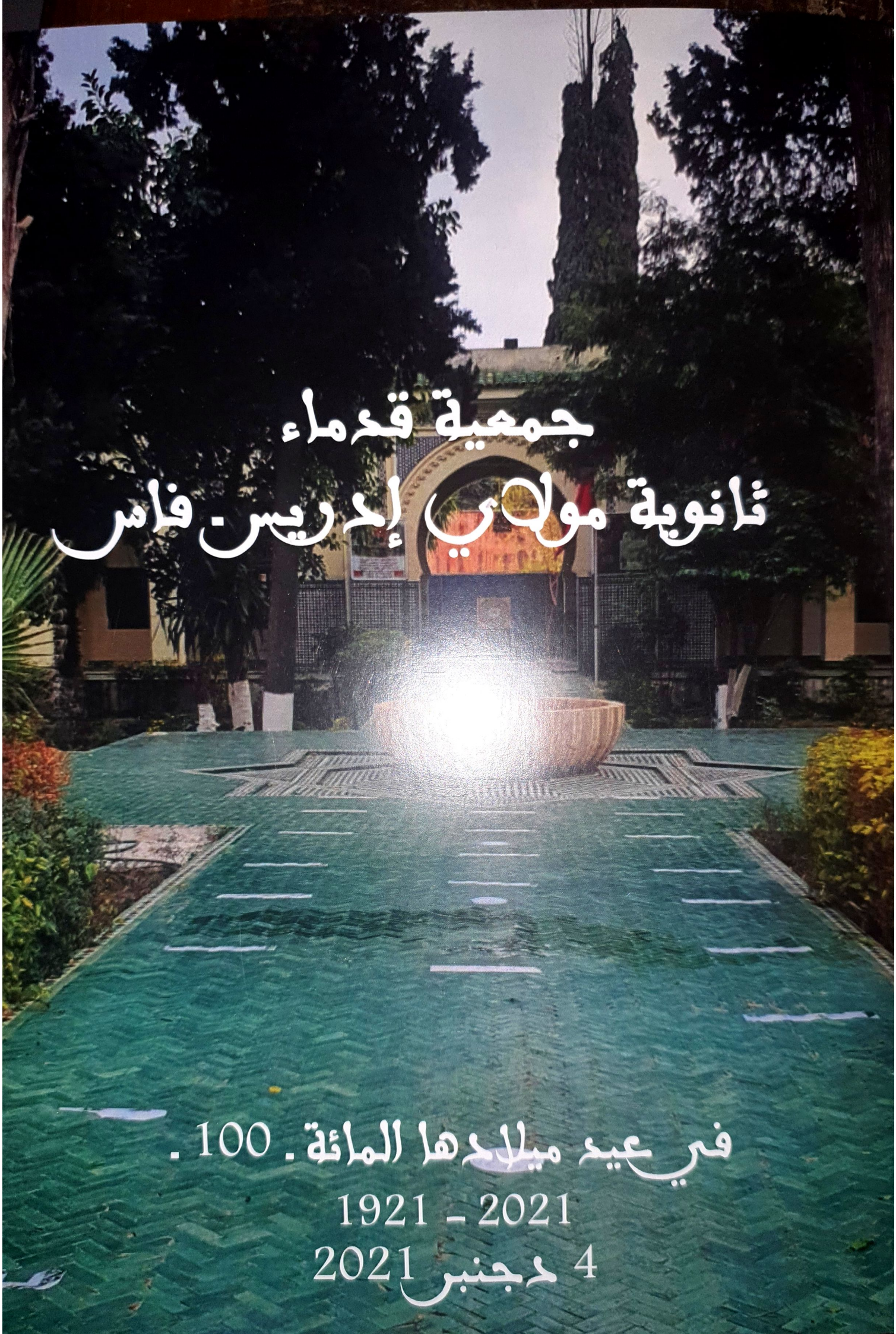

جمعية قدماء
ثانوية مولاي إدريس- فاس

في عيد ميلادها المائة - 100 -

1921 - 2021

4 دجنبر 2021

جمعية قدماء
ثانوية مولاي إدريس- فاس

جمعية قدماء ثانوية مولاي ادريس

ⵜⴰⵙⵙⴰⵏⵜ ⵜⵉⵎⵓⵔⴰⵜⵉⵏ ⵏ ⵍⵍⵉⵙⵓ ⵎⵓⵍⴰⵢ ⴷⵔⵉⵙ

ASSOCIATION DES ANCIENS DU LYCEE MOULAY DRISS

ASSOCIATION OF MOULAY DRISS HIGH SCHOOL FORMERS

في عيد ميلادها المائة - 100 -

1921 - 2021

4 دجنبر 2021

مقدمة:

تُعَد جمعية قدماء ثانوية مولاي إدريس أقدم جمعية وطنية على الإطلاق إذ تم تأسيسها سنة 1921، امتد نشاطها خلال هذه الحقبة الطويلة التي تنيف على المائة سنة، عبر مراحل متعددة متنوع الأبعاد، نبيل المقاصد، هادفاً إلى تقوية الصلة بين مختلف أجيال القدماء وتقديم الدعم إلى مرتادي الثانوية في شتى الميادين، وقد ارتدت من خلال ذلك وشاحا يحق لها أن تفتخر به على الدوام، إذ كانت منذ تأسيسها خلية حية للعمل الوطني الصامد ضد المستعمر، قاوم أبناؤها بشتى الأساليب وشكلت خطراً محدقاً بهذا المستعمر الذي أمر بوقف أنشطتها وحجز ممتلكاتها في فترة امتدت من سنة 1944 إلى بداية الاستقلال، وذلك عقاباً لها على انخراطها النضالي وحداً من زخمها الجامح. وتعتز الجمعية أنها حضنت العدد الهائل من صفوة الأطر الوطنية التي أخذت المشعل من جيل المقاومين، لتساهم بفاعلية في بناء مغرب الاستقلال والحرية.

كل هذا يعبر ما للجمعية من أهمية قصوى إنْ في تاريخ المغرب بشكل عام أو في تاريخ مدينة فاس بشكل أخص، ويدل هذا أيضا أن هذه الجمعية تعد تراثاً حضارياً المحافظة عليه من أول الأولويات وضمان استمراره من أوْكَدِ الواجبات، استمرار ينبغي في آنٍ واحد أن يحافظ على الموروث وأن ينفتح على تطورات العصر المتعددة بهدف أن تبقى هذه المؤسسة كما كانت دائما منبعاً للمعرفة الرصينة وحضناً لتوطيد الأخلاق النبيلة، وأن تبقى هذه الجمعية محركاً أساساً في هذه الطريق، يقوي اللحمة الجامعة بين أفرادها ويرعى الجيل الصاعد لِيَنْبُتَ النبت الحسن المؤهل للمسؤوليات المختلفة التي تنتظره. هذا الاستمرار وهذا الإصرار على المضي دوماً نحو الأفضل والأجود، ينبغي أن يكون الخيط الرابط بين مختلف المنتمين لهذه المؤسسة في الماضي والحاضر والمستقبل، هذه أمانة غالية تقع على عاتق الجميع فوق كل اعتبار ذاتي أو ظرفي، إن قوة الجمعية في قوة أبنائها، يستمدونها من رصيدها المشهود له ومن تطلعاتها نحو غد أفضل.

صفحات من تاريخ مشرق

التذكير بالماضي توطيد للحاضر وتهيئ للمستقبل ومن الصفحات الزاخرة لجمعيتنا العتيدة نقترح عليكم هذه الشذرات المجيدة استقيناها من كلمة غنية جامعة ألقاها المرحوم الدكتور عبد الوهاب التازي سعود رئيس الجمعية السابق سنة 1971 في الذكرى الخمسين لتأسيس الجمعية.

أيها السادة : نجتمع اليوم للاحتفال بالعيد الخمسين لميلاد جمعيتنا العتيدة التي أسهمت بحظ وافر في تطور التربية والتعليم والشؤون الاجتماعية والثقافية والسياسية في هذه البلاد، وذلك منذ رأت النور بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.

ويطيب لي بهذه المناسبة أن أستعرض معكم بعض المظاهر من تاريخها الطويل المشرق الحافل بجلائل الأعمال، وهذا في نفس الوقت إحياء لجزء مهم من التاريخ الوطني المغربي الذي قد تهمله الأجيال الناشئة لأنها لم تعشه، وقد يعزب عن بعض الأذهان لدى أولئك الذين عاصروا الكفاح المرير الذي شاركت فيه كل القوات الحية بالبلاد آنذاك وفي طليعتها جمعيتنا الناهضة قصد تحرير البلاد عن ربقة الاستعمار واسترجاع الاستقلال المفقود ووحدتها الضائعة.

والحقيقة أن إنشاء الجمعية يعود في جوهره إلى حركة إصلاحية و إلى شعور وطني بمعناه العصري التجديدي لدى جماعة من الشبان الذين كانوا ضعيفي العدد والإمكانيات، أقوياء بإيمانهم بعظمة وطنهم وبمستقبله الزاهر وبشبابهم المنفتح على العالم الجديد بمشاكله الاجتماعية وبمعطياته السياسية والثقافية التي كانت من نوع جديد يكاد الناس أن يكونوا لم يألفوه في هذه البلاد حتى ذلك الوقت، وهم في كل هذا مدفوعون بحيويتهم الوافرة المتحفزة نحو الرقي المتوثبة نحو الحرية، المتطلعة إلى العلم الحديث، المتعطشة للنهل من حياض الثقافة المتطورة قصد جعل حد لقرون من العزلة والجهالة والمحافظة الخانقة والرجعية الظالمة المظلمة.

وكل هذا في وقت كان الشرق الإسلامي يعج فيه بدعوات التحرير والإصلاح بعدما انحسر ظل الحكم العثماني المتهالك وهب الشبان الناهض في تركيا يحيي الهمم الفاترة وينادي بوجوب التغيير في أساليب الحكم والحياة لمواجهة الأعداء الطامعين في الاستيلاء على البلاد بعدما فقدت إمبراطوريتها الشاسعة وانكمشت على نفسها تحكمها عصابتها التقليدية بالنار والحديد والدم وتأبى مد يدها للمفاهمة مع الأجيال الناهضة التي تدعو إلى إشراك الشعب في حكم البلاد وتسيير شؤونها وفتح المجال لذوي الكفاءات من أبنائه قصد العمل على لم الشعث ورأب ما تفكك وتصدع.

وكانت مصر تغلي بثروتها غليان المرجل وقد خرج الشعب إلى الشارع وراء زعمائه السياسيين ثائرا على الحكم الإنجليزي الغاشم منادياً باستقلال البلاد عاملاً على استرجاع حريتها المفقودة.

ولم يكن أي بلد عربي يخلو من دعوى إصلاحية دينية تهفو إلى ترك الشعوذة التي طالما خيمت على عقول الناس ووقفت سداً منيعاً بينهم وبين النظر إلى الأشياء نظرة متعقلة وفقا لما ينادي به الدين الإسلامي الصحيح بعيداً عن الاعتقادات الأسطورية والخرافات والأوهام التي طالما استعبدت أفكارهم وقدمتهم فريسة سهلة يستغلها الدجالون والكذابون والخراصون من كل صنف ونوع.

ومثل ذلك كان في الميدان الاجتماعي عندما قامت حركات التجديد تدعو إلى تنظيم المجتمع على أسس عصرية تترك فيه كل مظاهر الاستغلال الطبقي وتنبذ كل عناصر التعسف والطغيان التي عرفها الناس وقد رجوا عليها أجيالا متعددة. كانت هناك إذن بقايا في نهاية الحرب العظمى جماعة من الشبان الواعين للحالة المزرية التي كانت سائدة آنذاك والظروف الحالكة التي كانت تعيشها البلاد وكأنهم كانوا يشعرون بالغربة وسط بحر زاخر خضم من التعصب الأعمى والجهالة الضاربة أطنابها والمحافظة التي تسهر عليها جبهة رجعية جبارة يساندها الاستعمار الذي يعتمد عليها في تثبيت أقدامه وتركيز سلطته بالبلاد.

ولقد بدأ التفكير أول الأمر في إنشاء نادي للآداب والثقافة و إعانة التلاميذ المعوزين و إرشادهم مع العمل على إسداء النصح للشباب عامة وتنمية معارفهم والاعتناء بالثقافة العربية و الإسلامية التي كانت مهملة آنذاك في البرامج المقررة - وبذلك استطاعت هذه الجماعة الرائدة الأولى أن تجد وسيلة للاتصال المستمر فكانت الاجتماعات الأولى تنعقد سريا بحي المخفية بمنزل الديوري الذي أطلق عليه اسم (دار الأمة) كما كرمت أم التلميذ صاحب الدار فسميت "بأم الجمعية" اعترافا برعايتها و إتاحتها فرصة الاتصال لتلك الباقة من الشباب المهددين بالسجن كنس الشوارع والغلقة بمحكمة الباشا إن عثر عليهم مجتمعين بغير رخصة أو إذن رسمي.

ومرت شهور طويلة قبل أن يفكر في إنشاء جمعية معترف بها من لدن السلطات الرسمية ثم قرروا أن يصدموا بالأمر وصاروا يعقدون الاجتماعات المتوالية لكتابة القوانين ولم يكن ذلك ممكنا إلا بمحضر ممثل السلطة وكان مدير الثانوية آنذاك. ويذكر بعض من كان يحضر تلك الاجتماعات أن صراعاً عنيفاً كان قائماً بين التلاميذ والمدير المستشرف الذي لم يكن يسمح بأن ينص في القانون على كل ما شأنه أن يخل بالنظام القائم في ذلك الوقت وقد بلغ هذا الصراع أشده عندما نودي بأن من الأهداف التي يجب أن تسعى إليها الجمعية العمل على محاربة الشعوذة والتدجيل والطوائف الضالة، فقامت قيامة المدير وغادر الاجتماع حانقاً مغضبا بعدما حاول أن يقنع الحاضرين بأن هذا العمل من شأنه أن يغضب آبائهم وعموم الشعب المغربي الذي أدرج على هذه العادات والمعتقدات والتي ليس لأحد أن يتدخل فيها. كما أن المناداة بمثل هذا الرأي ستحدث الشغب وستجعل الناس يثورون ويهاجمون من يقول به. - وعلى كل فقد كان خروجه مؤذنا بتوقف العمل، إذ معناه أن السلطة لم تقبل قوانين لم يوافق عليها ممثلها مسبقاً ولذلك اتفق على السكوت مبدئيا على هذا البند وتويم العمل وصدر الترخيص بإنشاء الجمعية يحمل تاريخ 12 محرم 1340 الموافق 1921-09-15.

ونقرأ في الفقرة الثانية من هذا القانون الأول أن الجمعية تهدف إلى إيجاد علاقات ودية وتعاضدية بين الأعضاء فيما يمكن أن يكون في صالحهم كمتابعة التعليم والتثقيف والإجتماع للتدارس وقراءة الكتب والمجلات والصحف العلمية والأدبية والتجارية والفلاحية والاقتصادية مع تحضير دروس عامة وتحرير محاضرات في مختلف الموضوعات.

أما الفصل الرابع عشر منه فيقول أنه في حالة موت أحد الأعضاء أو أحد أقربائه أو أحد سكان المدينة البارزين فإن أعضاء الجمعية يستدعون استدعاءات فردية لحضور الجنازة.

وهذا كما نشاهد وكما يتذكر الجميع عين الأهداف التي كانت حكومة الحماية تمنع تجاوزها على كل جمعية تسمح بإنشائها لكن جمعيتنا كما يشهد بذلك تاريخها الطويل لم تقف عند هذه الحدود التي حددت لها رسميا بل تخطتها إلى العمل في نطاق أوسع ومجالات أكثر تنوعاً وتبايناً.

المجال السياسي: وقد كانت للجمعية منذ نشأتها أهداف سياسية تعمل لها تحت شعارات ثقافية وتربوية، والمتتبع لتاريخها الطويل المديد يعثر على مواقف متصلة في الموضوع وإذا كان هذا العمل السياسي قد بدأ مقنعا فإنه ما فتئ أن برز إلى الوجود، حيث صارت للجمعية مواقف معروفة اشتهرت بها خلال الأزمات السياسية التي مرت بها البلاد، وكأن المارشال ليوطي قد سبق الحوادث وعرف المرامي الحقيقية لمؤسس الجمعية حينما قال: خلال اتصال كان له معهم إذا كنتم تنوون إنشاء هذه الجمعية لغرض تعليمي ثقافي فأنا معكم وإلا فإني سأعمل ضدكم لأن كل عمل سياسي مقنع يسبب الثورة ضدنا وضدكم من لدن آبائكم ومعنى هذا أنه كان يوهمهم باستلام آبائهم للحكم الجديد وبأنهم لا يريدون به بديلاً.

ولا أحتاج إلى التذكير لأن مراحل النشأة الأولى للجمعية صادفت قيام الثورة الريفية المجيدة التي أظهرت للعالم صمود المغاربة في وجه المستعمر الغاشم وعدم رضاهم عن وجوده ببلادهم فهبوا يكافحون من أجل استعادة سيادتهم بكل ما أوتوا من قوة وطاقة ويمكن أن أؤكد

بأن الجمعية كانت لها اتصالات سرية عديدة بممثلي الحركة الريفية الذين كانت لها معهم اجتماعات متكررة بمنزل موجود بحي العدوة، ولما كانت إدارة الاستعلامات السياسية قد تأكدت من وجود هذا الاتصال فإنها لم تستطع اتهام القائمين به بكيفية صريحة لتمد يدها إليهم بالقبض نظراً لعدم توافرها على أدلة كافية لإثبات الإدانة ولذلك اكتفت باستدعاء أعضاء المكتب إلى إدارتها ووجهت إليهم إنذاراً صريحاً في الموضوع بعدما إتهمتهم بالقيام باتصالات سرية مع ممثلي الحركة الريفية

ثم هددتهم بجعلهم في أكياس يحكم غلقها وتخاط ثم تلقي من أعلى قنطرة نهر سبو وبذلك يستحيل عليهم النجاة كما يصعب العثور لهم على أثر فيما بعد. والمقصود من هذا كله الإرهاب والتخويف بأبشع العقاب وأشد أنواع العذاب وكذلك كان الأمر بالنسبة للعنصر البربري إذ لم تكن الجمعية لتقبل التفرقة في الصفوف مهما كانت عناصرها وأنواعها وبواعثها، فلذلك قاومته وشاركت في حركة الإحتجاج الكبرى التي قامت ضده مؤمنة بأن السكوت عنه من شانه أن يفرق صفوف المواطنين ويخدم مصالح المستعمرين التي تهدف إلى التفرقة بشتى الوسائل والطرق ومنذ ذلك الوقت والاتصال بالحركة الوطنية المنظمة في المدن مستمر بتزايد وتصاعد ويخرج من السرية إلى الوجود العلني ليبلغ أوجه في حوادث سنة 1944، حيث شاركت في توقيع عريضة الاستقلال وفي الحوادث الدامية التي أعقبت تسليم العريضة وعند ذاك قامت قيامة حكومة الحماية وأصدرت الأمر بحل الجمعية ومصادرة أملاكها، وقد صدر قرار المنع بتاريخ 8 جمادى 1 سنة 1363 الموافق لفاتح ماي سنة 1944، ثم استدعي بعض الأعضاء إلى إدارة الاستعلامات لحضور عملية بيع مكتبة الجمعية وكانت تكون كل ما غنمته الحماية مع الوثائق الأخرى والملفات فرفضوا ذلك بحجة أنهم لم ينتدبوا للقيام بهذا العمل من لدن المكتب وقد بقيت هذه الوثائق مهملة ولم يعثر إلا على القليل منها. بعد الاستقلال بعد إلغاء قرار المنع بتاريخ 6 ربيع 2، 1376 وهو الذي يوافق 10 دجنبر 1956 بتوقيع الرئيس البكاي فأعيد للجمعية اعتبارها وسمح لها بمزاولة نشاطها من

جديد بعدما بقيت تعمل في الظلام وتقوى الصفوف الوطنية المجاهدة المكافحة في سبيل الاستقلال خلال 12 سنة و9 أشهر كاملة.

الإصلاح الاجتماعي: سبقت الإشارة على أن محاربة الطوائف الضالة والقضاء على الشعوذة وإبطال العادات القديمة كانت في طليعة الأهداف المقررة للجمعية وإن لم تسمح بها سلطات الحماية آنذاك وقد تجلى هذا الصراع على الخصوص في ميدان التعليم أولاً وفي حقل الثقافة والعلم ثانياً، فقد عملت الجمعية على توسيع التعليم ونشره بين جميع الطبقات بعد أن كان وقف على أبناء الأعيان وبقيت خلال تاريخها الطويل تطالب بفتح أبوابه في وجه جميع المغاربة وبالزيادة في عدد المدارس وبتحسين برامجه ومغربتها وتقوية حصص اللغة العربية بها.

ونقرأ بهذه المناسبة في تقرير الجلسة العمومية المنعقدة بتاريخ 30 أكتوبر سنة 1932 المقررات الآتية التي صادق عليها المؤتمر بالإجماع:

نظرا لعدم وجود مدرسة ابتدائية بشارع الطالعة.

وبما أن المدارس الابتدائية الكائنة بمدينة فاس والمحدثة سنة 1912 لم تكن لائقة إلا لمطالب ذلك العهد ولا ترضي المطالب الحالية.

فأعضاء الجمعية يقررون ما يأتي:

1- إحداث مدرسة ابتدائية بشارع الطالعة.

2- توسيع نطاق المدارس الأخرى حتى ترضي المطالب الحالية.

ولا يسعنا بعد هذا إلا أن نقف وقفة متأنية مع موضوع تعليم البنات الذي كافحت الجمعية من أجله كفاحا طويلا يحق لها اليوم أن تفخر به فهو من حسناتها التي تكتب في تاريخها بمداد الفخر ذلك أنها شعرت منذ وقت مبكر بوجوب العمل على فتح مجال التعليم العصري في وجه الفتاة لإنقاذها من هوة الجهالة السحيقة التي كانت متردية فيها.

وقد قدمت الجمعية أول الأمر مطالبها في الموضوع للإدارة التي تعللت بكون الناس لا يرغبون في ذلك مطلقا لأنه مخالف لأوامر الدين لأنها تعد نفسها ملزمة بتطبيقها واحترامها.

وعند ذلك تألف وفد للاتصال بجلالة المغفور له محمد الخامس الذي أبدى تفهما كبيراً للموضوع وحماساً فائقاً في تنفيذه ولذلك نصح بالاتصال بالمجلس العلمي بفاس لأخذ رأيه في النازلة مع التلطف في عرضها قصد حمل أعضائه على عدم معارضة الطلب.

ويشهد التاريخ بأنه إذا كانت جماعة من أعضاء هذا المجلس قد عارضت الفكرة وعدتها بدعة شنيعة فان رئيسه آنذاك وهو مولاي عبد الله الفضيلي قد أبدى تفهماً كبيراً للقضية التي وقف منها موقفاً منفتحاً، وبعد اتصالات عديدة تمت الموافقة على فتح مدرسة للبنات بالشروط الآتية:

1- أن تكون الدراسة في أمكنة مصونة، متسترة بعيدة عن الأنظار.
2- أن تلبس البنات الجلباب وجعل اللثام وجوباً.
3- أن تتوقف الدراسة عند سن الثالثة عشرة.
4- أن يعين حراس خاصون بالأحياء التي تمر منها الفتيات.
5- أن يكتفي بتعليمهن شيئا من الحساب والفرنسية والعربية والقرآن.

وقد دفعت الإدارة إلى الجمعية بعد ذلك 500,000ف لشراء الأرض ثم تم بناء المدرسة بباب الحديد بسرعة ولما كان إقبال الناس على تعليم الفتاة ضعيفاً بحيث لم تتسجل أول الأمر إلا ثلاث عشرة فتاة فقد طلبت الجمعية من جلالة المغفور له محمد الخامس تدشين المدرسة بنفسه فقبل ذلك وحضر بنفسه له وكان حفلاً مشهوداً.

هذه باختصار قصة بداية التعليم النسوي بفاس وفيها تذكير بالمجهودات الجبارة التي قامت بها الجمعية آنذاك قصد تذليل الصعاب التي كانت تعرض طريقه، ولعمري هل تعرف فتاة اليوم

هذه القصة الطريفة وهي تروح إلى المدرسة وقد تركت الجلباب واللثام وارتفعت جبتها إلى ما فوق الركبة، قليلا أو كثيرا بحسب الظروف وتجاوزت منها القدر الذي حدد في البداية.

أما في الميدان الثقافي: فإن المجهودات كانت متعددة ومنوعة ترمي كلها إلى متابعة تعليم أعضاء الجمعية والقيام بحركة ثقافية نشيطة واسعة النطاق يستفيد منها العموم:

وكان الكثير من هؤلاء الشبان يغتنمون فرصة أيام العطل و أوقات الفراغ للنزول إلى القرويين لتقوية ثقافتهم العربية بعدما تأكدوا من أن البرامج المطبقة بالتعليم الرسمي ضئيلة لا تفي بالحاجة كما منعوا أنفسهم من الحديث بغير العربية في اجتماعاتهم التي كانت أول الأمر يومية تمتد من السابعة مساءا إلى الثانية بعد منتصف الليل أحيانا وجعلوا غرامة على كل من يتفوه بكلمة غير عربية في الاجتماع وفي هذا دليل على تعلقهم المتين بلغة البلاد ووعيهم للدور الخطير الذي يجب أن يلعبه و إيمانهم الواسع بفقدان ثقافتهم إن بقيت معرفتهم للغتهم الوطنية ناقصة عرجاء كما تريدها البرامج المطبقة.

وإلى جانب هذا كانت تقام محاضرات يلقيها علماء وقضاة ومثقفون في مختلف الموضوعات وقد كانت هذه المناسبات تكون خلال مدة طويلة المظاهرات الثقافية الوحيدة بمدينة فاس إذ كانت تؤمها (إلى جانب قدماء التلاميذ) النخبة المثقفة في البلاد.

وكانت الجمعية تتوق باستمرار إلى أن تكون لها اتصالات دائمة بمختلف الجمعيات بفاس وخارجها فعملت على تهيئ الاتصال بطلبة القرويين وكان ذلك يوم مشهود بمنزل بحي السياج وبحضور المرحوم المختار السوسي الذي صادف تاريخ الاجتماع وجوده بالمدينة.

كما كانت اتصالات أخرى بقدماء الرباط ومراكش والبيضاء على الخصوص أدت إلى التفكير في إنشاء اتحاد لجمعيات قدماء التلاميذ المحاربة بعد عقد مؤتمر عام لهذا الغرض بتاريخ 27-28-29 يونيو سنة 1934.

ونقرأ في المطبوع التحضيري الذي وزعته الجمعية بفاس وباسمها آنذاك أن المؤتمر يناقش الموضوعات الآتية :

- النظر في تحسين أحوال الجمعيات مادياً وأدبياً والإتفاق على خطة حازمة لتحقيق غاياتها.
- دراسة مسألة التعليم بالمغرب.
- النظر في تحسين دراسة اللغة العربية بالمدارس الابتدائية والثانوية.
- السعي وراء الزيادة في عدد المدارس الابتدائية بالبلاد.
- النظر في فتح مدرسة عليا لتهيئ أساتذة مختصين بتدريس اللغة العربية بالمدارس المذكورة.
- السعي لتحصيل إعانات مادية وسلفات شرفية من الحكومة للطلبة المغاربة قصد تتميم دراستهم بالمغرب أو بالخارج.
- اتخاذ خطة لنشر الثقافة العامة ومحاربة الأمية بين أفراد الشعب المغربي.
- النظر في تعميم خزائن كتب محلية في مختلف المدن

وهذه النقط كلها منصبة كما ترون على شؤون الثقافة والتعليم بحيث يهدف إلى توسيعهما وتنشيطهما بشتى الوسائل. وإذا تفحصناها وجدناها أقرب إلى أن تكون برنامجاً سياسياً عتيداً منها إلى أن تكون مجرد مطالب لجماعة من الشباب المتكتل ومن جملة مظاهر النهضة الثقافية لدى الجمعية اعتنائها بفن التمثيل منذ نشأتها الأولى.

ويذكر التاريخ أن أولى فرقة مصرية للتمثيل والغناء زارت المغرب سنة 1924 تحت رئاسة الشيخ محمد عز الدين وقد مثلت رواية صلاح الدين بسينما كانيارد وآنذاك وبوجلود الآن وكان للجمعية نشاط وافر في استقبال هذه الفرقة وتسهيل مهمتها والاعتناء بها مدة إقامتها حتى صار من تقاليدها أن تهتم بالوافدين على فاس لغرض ثقافي أو فني كيفما كان

وقد نشطت حركة التمثيل المحلي على يد الجمعية التي كونت فرقة صارت تقدم من آن لآخر مسرحيات مقتبسة أو مترجمة أو مؤلفة كما أسهم قدماء التلاميذ أنفسهم في هذا الباب بحظ

وافر فألف المرحوم امحمد الزغاري رواية "انتصار البراءة" التي مثلت على خشبة مسرح أبي الجنود وقام السيد عبد السلام التويمي بترجمة مسرحية طارتوف لموليير سنة 1928 والمرحوم المهدي المنيعي، لكن الإدارة منعت تمثيلها بعد تدخلات متعددة من أطراف مغمورة في ولهنيتها متهمة بالتدجيل والتدليس وعند ذلك هبت زوبعة من الاحتجاجات تدخلت فيها الصحافة الفرنسية نفسها لكن الإدارة لم تتراجع عن قرارها بمنع تمثيل هذه الرواية التي طبعت بفاس فاستنفد الطبع 8000 فرنك والتي كانت تملكها الجمعية وهو قدر مهم بالنسبة للوقت، ضاع فضاع معه المردود المنتظر من مدخول التمثيل وكان الحصول على قدر مهم من المال في هذه الحلبة المزدوجة قصد توزيعه على الضعفاء والمعوزين من التلاميذ ومن القدماء المحتاجين الذين يتابعون دراستهم العليا، ورغم ذلك كله فإن النشاط الفني للجمعية يمثل حلقة مهمة في تاريخ التمثيل في المغرب لا يمكن أن يهمله مؤرخ عادل لهذا النوع من النشاط الفني، ولا أترك المجال دون التعرض لقضية محاربة العادات القديمة والعمل على إبطال التقاليد السيئة التي أخذت الجمعية على نفسها منذ نشأتها الأولى لمقاومتها وتخليص المجتمع من عواقبها الوخيمة.

ويذكر الجميع تلك الحملة الكبرى التي قام بها أعيان فاس وعلماؤها ومثقفوها سنة 1942 قصد القضاء على الكثير من الأعراف التي اعتادها الناس هنا في أعيادهم وأفراحهم ومآتمهم.

وقد كانت للجمعية مشاركة فعالة في تلك الحركة لأنها تستجيب لرغبتها في العمل على تخليص المجتمع المغربي من عناصر الانحطاط التي تعوقه عن السير قدماً إلى الأمام في طريق التفتح والتقدم على مظاهر جديدة للحياة والتي من شأنها أن ترشده وتنير سبيله وتهديه إلى الخير والرشاد.

وقد تعاهد الناس آنذاك على الالتزام بتنفيذ ما أقروه واجتناب ما رأوه فاسداً بل لم يكتفوا بذلك فالتمسوا إصدار ظهير شريف يقنن ما اتفقوا عليه ويهدد المخالفين بالعقاب الصارم.

وإذا عدنا إلى هذه المقررات اليوم فإننا نجد لها قيمة تاريخية لا تنكر بحيث أنها أصبحت وثيقة مهمة لا يستغنى عنها دارس الحياة الاجتماعية في تلك الحقبة في المغرب على العموم وفاس على الخصوص كما لها قيمة لغوية عظيمة سجلت الأشياء بأسمائها المعروفة المتداولة وهي مقسمة قسمين كبيرين:

1- كيفية فراش بيت الزوجين.

2- بيان العوائد الممنوعة منعاً كلياً من الثورة والأعراس والحفلات والمآتم ونقرأ في الباب الأول وهو المتعلق بفراش بيت الزوجين ما يلي على سبيل المثال:

- يقتصر على الطلقان عوضاً عن اللحوف.
- السطارم من البهجة والموبرة.
- التلاميط من الشيت أو ما شاكله.
- منديل التكميس يكون بطرز خفيف لا تريش فيه.
- فوطات الحجر لا تتعدى 12 بدون طرز ولا تكرير ولا تريش
- مجدول الخامية من الصابرة والقطن بدون صقلي
- صندوق العتيدة يكون مجلداً بالجلد أو الموبرة بالمسمار وبدون مجانة.

هذا ما كان الناس عندنا يستطيعون منعه منذ ثلاثين سنة في محاولة إصلاحية صميمة شرفت القائمين بها وأدرجت أسماؤهم في لائحة الوطنيين المخلصين العاملين على توعية مواطنيهم بدعوتهم إلى ترك العادات الفاسدة والأعراف الزائدة التي ما انزل الله بها من سلطان

الحماية تضيق ذرعاً بالمدرسة: أمام هذا النشاط المتنوع المتزايد الذي لا يعرف الكلل وهذه التحديات المتتابعة التي لا يتسرب اليأس ولا القنوط إلى قلوب القائمين من أعضاء الجمعية نرى حكومة الحماية تفقد اتزانها وتعمل للحد من نشاط الجمعية المتصل قصد توقيف سيرها ومنعها من متابعة رسالتها، وقد أشرنا آنفا إلى التهديدات والإنذارات التي وجهتها الإدارة إلى أعضاء المكتب

عند نهاية الحروب الريفية كما أشرنا إلى قرار المنع الذي صدر في حق الجمعية بعد المشاركة في توقيع عريضة الاستقلال والحوادث الدامية التي تلت ذلك.

ونريد الآن أن نذكر بمعركة أخرى من هذا القبيل جرت حوادثها سنة 1933 وذلك أن حكومة الحماية بعدما نفذت حيلتها في السيطرة على الجمعية أو تشتيتها أخذت تفكر جديا في إغلاق المدرسة الثانوية وضم تلامذتها إلى الليسي الفرنسي قصد جعل حد لنشاط الجمعية المتتابع ونجاح مشاريعها المتتالية.

وما أن عرف الخبر حتى هاج الناس وماجوا ثم تنادوا لجلسة عمومية غير عادية عقدت بتاريخ الأربعاء 21 رمضان سنة 1351 موافق 18-01-1933 على الساعة الثالثة مساء.

ونقرأ في الخطاب الذي افتتح به الرئيس المرحوم المهدي المنيعي ما يلي:

"" بلغنا أخيرا أن من جملة الاقتراحات التي قدمتها عصبة الموظفين جواباً عن طلب إبداء رأيها في وسائل الاقتصاد تحسينا للميزانية: إسقاط المدرسة الثانوية الإسلامية، فلم نعط الخبر أهمية لعلمنا أن ذلك ربما لم يكن له أصل وأن من يقول هذا لن يجد لهذيانه محبذا حيث لم يحقق لنا الخبر رسميا لكن... أتى إلينا أحد أساتذة المدرسة الفرنسية المدعوة الليسي فتبين لنا من مذاكرة عرضها علينا ومن أبحاث أخرى أن الدعاية ضد مدرستنا موجودة حقيقة وأن أساتذة الليسي في اجتماع لهم أخيراً بعد أن أعرضوا عن اقتراح المسيو "فاروّ" المطالب بإسقاط المدرسة الثانوية الإسلامية بتاتاً قرروا اقتراحاً آخراً وهو إدماجها في الليسي، وقد قدم هذا الاقتراح إلى لجنة الميزانية عن طريق اللجنة الأساسية الرياضية وحججهم في ذلك :

1- أن المدرسة الثانوية الإسلامية الفاسية فارغة من الطلبة لأن عدد تلاميذها لا يفوق الثمانين.
2- أن عدد المدرسين فوق الكفاية والمطلوب.
3- أن البناءات ما زالت تهيئ بالمدرسة

4- أن مدرسة الليسي بالمدينة الجديدة تحتوي على ما ينيف 340 تلميذا.

5- أن هذا العدد سيضاعف بالمستقبل.

وقد استاء الحاضرون لهذا الخبر وصوتوا بالإجماع ضده وقرروا إرسال برقيات متعددة للإحتجاج.

وهذا نص البرقية الموجهة في الموضوع إلى جلالة المغفور له محمد الخامس: أن التعليم الأهلي الثانوي الإسلامي مهدد بدعاية المقصود منها إسقاط المدرسة الثانوية الإسلامية بدعوى الاقتصاد ولن جمعية قدماء تلاميذ المدرسة الثانوية الإسلامية الفاسية ترى من الواجب عليها أن تنهي إلى علم جلالتكم الشريفة أن مثل هذه الدعايات يحدث أسوء أثر على معهد علمي طالما اهتمت به جلالتكم اهتماما بيناً.

فجمعيتنا وجميع رعاياكم يضعون ثقتهم التامة في جلالتكم حتى لا تسقط هذه المدرسة التي لنا فيها اتصال الحضارة الحديثة بدون خروج عن عوائدنا"، تلك هي البرقية بنصها وأسلوبها الأصلي وقد توجت المعركة فتلقى المكتب برقية تهنئة من المقيم العام وعدل عن إسقاط المدرسة كما كان يقال وبذلك بقيت تتابع رسالتها إلى يومنا هذا.

ولا يفوتني أن أذكر بهذه المناسبة العلاقات المتينة التي كانت تربط بين جلالة المغفور له محمد الخامس والجمعية فقد كان لا يبخل عليها بعطفه ورعايته وعنايته وإرشاده ومساعدته في المحنة.

ويرجع تاريخ هذه العلاقات إلى الأيام الأولى التي تولى فيها جلالته العرش بفاس سنة 1927 وقدمت الوفود لمبايعته وتهنئته ومن جملتها وفد الجمعية، ويحكي لنا بعض من حضروا هذا الاستقبال أنهم حينما وصلوا إلى باب البجاة جعل الناس ينظرون إليهم باستغراب لكونهم لم يكونوا يلبسون البدلات الرسمية التي اعتاد الناس ارتدائها في مثل تلك المناسبة فقد اكتفوا بجلابيبهم وبطرابشهم الحمراء التي كان الشباب يحملها في ذلك الوقت.

وقد استقبلهم جلالة المغفور له أحسن استقبال وطال مكوثهم بين يديه وهو يسألهم عن حالة التعليم وسير المدارس والكتاتيب وكانت الجمعية تبادله حباً بحب وتخلص في تعلقها بشخصه وعرشه كما كان بدوره لا يترك مناسبة تمر دون زيارة المدرسة والسؤال عن أحوال التلاميذ ونفع الجمعية بإعانات ملكية تمكنها من القيام بمشاريعها الإحسانية والفنية وما زال الجميع يذكر الزيارة التاريخية الكبرى التي قام بها للمدرسة سنة 1941 حاملاً في إحدى يديه إعانة ثمينة وفي الأخرى ظهيراً شريفاً يعترف بأن الجمعية ذات مصلحة عامة. ثم كان المنع وبلغ الجهاد الوطني أشده وكانت المحنة وجاء الاستقلال وأدت الجمعية إلى الوجود الرسمي فعاد إلى سابق عطفه وحدبه ورعايته وزار المدرسة زيارة مازال الكثيرون منا يتذكرونها حتى اليوم.

ولجلالة خلفه الحسن الثاني نفس العطف على جمعيتنا فهو يشملها بإعانته الملكية السامية التي تتكفل بتوزيعها على المعوزين من التلاميذ كعادتها.

أيها السـادة :

هذا – عرض موجز عن الجمعية في تاريخ كفاحها الطويل ضد الاستعمار والجهل والتجهيل والتدليس والشعوذة وفي نشاطها المتواصل لإيجاد حركة ثقافية نشيطة متنوعة، وهو قليل من كثير لا يتسع المقام لذكره واستيفائه على أن الملاحظة التي لا تغرب عن الأذهان هي أن تاريخ جمعيتنا مرتبط بتطور الكفاح الوطني ارتباطاً متيناً وبشيوع الثقافة الحية بكل مظاهرها في هذه البلاد وبالعمل الاجتماعي الذي هدف دائماً إلى توعية الشعوب وإبطال العوائد الفاسدة وتحرير العقول من سيطرة الأوهام والخرافات التي استولت عليها زمنا ليس بالقصير

أيها السـادة :

نستطيع الآن الإجابة عن السؤال الذي طالما ألقي وكرره الناس لماذا طالت حياة هذه الجمعية وامتدت امتداداً غير معهود فقد أنشأ كثير من الجمعيات وأعلن عن تأليف العديد من الفرق ذات الأهداف المتنوعة لكن عمرها في مجموعها لا يتعدى – إن طال – بضع سنوات.

فما السر في كون جمعيتنا قد عمرت هذا العمر المديد؟ السر في ذلك أنها تضم جماعة من الشباب المتنور الواعي الذي يعمل باستمرار على تحقيق أهداف وطنية وثقافية واجتماعية في صفوف متراصة يجمعهم إيمانهم الصادق بمشروعية أهدافهم وتحديهم رغبتهم في تحقيق الإصلاح الاجتماعي الشامل بدون فائدة تُرجى ولا ربح ينتظر

ذلك هو السبب في نجاح هذه الجمعية واستمرارها وسيبقى دائما العامل الأول في دوام نشاطها ومتابعة حركتها الدائبة أن ساندتموها والتففتم حولها وأمددتموها بنصائحكم وتوجيهاتكم وجعلتم رهن إشارتها من الوسائل المادية والمعنوية ما يمكننا من إنجاز مشاريعها واتخذتم منها منبركم المفضل للتعبير عن آرائكم والإفصاح عن وجهات نظركم في كل المشاكل التي تعرض لمجتمعنا المتطور المحتاج دوماً إلى أبنائه العاملين بصدق وأمانة وإخلاص وكفاءة وتفهم عميق للأحداث وتشبع بروح الثقافة الصحيحة البعيدة عن الخرافات والأوهام المتحررة من الأساطير وكل أنواع الأباطيل وتلك لعمري هي الصفات التي عرف بها دوماً القائمون على شؤون جمعيتنا العتيدة والى عيد ميلادها المئوي.

والسلام عليكم.

فاس في: 05-12-1971